هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد ٣٢ ، صفر ١٤١١هـ / سبتمبر ١٩٩٠م

الافتتاحية

المعصية الفردية والمعصية الجماعية

المعصية الفردية يرتكبها صاحبها مستتراً، يتوارى من المجاهرة بها افتخاراً وتحدياً لمشاعر الجماهير، وقد يرتكبها وهو معتقد أنها حرام ، وأنه ينتهك بارتكابها شرع الله ، فيتوارى بفعلته تلك عن الأنظار ويصده الحياء عن تحدي المجتمع بذلك ، وإذا ما لاحقه شؤم فعله فافتضح فإنه يذهب يلتمس المعاذير التي يعتذر بها عادة المقصرون ، وقد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه ، ويردف السيئة بالحسنات؛ فينسى الناس ما كان بدر منه ((ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً))[الفرقان:٧١].

هذا النوع من المعاصي خطْبه سهل - مقارناً بالنوع الثاني وهو المعصية الجماعية - فشؤمه وعواقبه الوخيمة تقتصر على مرتكبه ، ودائرته الضيقة التي يتحرك فيها.

أما المعصية الجماعية فلها شأن آخر، فهي من حيث التطبيق ينتظم فيها عدد كثير يتواطؤون على فعلها ولا يزال هذا العدد يكبر ويكبر حتى يشمل المجتمع كله.

- ومن حيث صورتها يجاهَر بها على رؤوس الأشهاد، وقد يصبح فعلها مجال فخر وخيلاء واعتزاز وتطاول على الآخرين ، فقد تتخذها الجماعة أو الشعب شعاراً وتعتقد أنه يجلب لها المجد والرفعة.

-ومن حيث أثرها السيئ ،فإن نتيجتها لا تحيط بأهلها فقط بل بالمجتمع كله مع وجود أناس قد يشمئزون من فعلها في ذلك المجتمع .

- إن أثر المعصية الجماعية مدمر ومخيف لاتساع المساحة التي يظهر فيها شؤم هذا الأثر، فهي تعرض المجتمع الذي فشت فيه بأسره لغضب الله وانتقامه ، وتجعله فاقد المناعة، يهوي ويندثر عند تعرضه لأدنى هزة.

هذا مع أنه قد يعجب الناظر إليه ، ويخدع الذي لا يتعمق في تفحص جوهره ، فيحسبه سليماً متماسكاً، وهو المعلول الذي يعد الحكماء والأطباء - وما أقلهم - له الأيام والساعات.

لقد قص الله - عز وجل - علينا في القرآن الكريم خبر كثير من الأمم التي أهلكها بسبب المعاصي الجماعية، وذكر لنا جريمتهم التي استحقوا بها ذلك العقاب ، مثل قوم عاد:

((وتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وعَصَوْا رُسُلَهُ واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ))[هود:٥٩] .

ومثل قوم لوط :

((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ومَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ))[هود:٨٢-٨٣] .

ومثل قوم شعيب :

((ولَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وأَخَذَتِ الَذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ))

[هود:٩٤-٩٥] .